أخلاقيات إستخدام الهاتف الذكي

00:00 | 04-11-2021المصدر: "النهار"

نراجع المنشورات التي تناولت التطوّر التكنولوجي المتوقّع في القرن ٢١، نجد أنّها ركّزت بمعظمها على الفضاء والنقل السريع والطب. حصل تطوّر كبير في هذه المجالات ولكنّه لم يكن بالقدر المطلوب والمتوقّع. بالمقابل شهدت وسائل التواصل، وبخاصّة الهواتف الذكيّة، تقدّماً سريعاً فاق كلّ التوقّعات. بتنا اليوم نرى عالمنا وحياتنا إنطلاقاً من هذه ال#تكنولوجيا. ما مدى تأثيرها على قدراتنا التحليليّة وما هو دور التمييز الأخلاقي بمساعدتنا على أخذ المسافة الضروريّة لتقييم مفاعيلها على سلوكياتنا ؟

يقال أنّ التكنولوجيا، بصورة عامّة، جيّدة لكنّ المشكلة تكمن في طريقة استخدامنا لها. هذا القول ليس بدقيق. فآلة #الهاتف الذكي ليست منفصلة عن وسائل التواصل بشكل عام. كلّ شيء بات اليوم يعمل ضمن شبكة مُحكمة الترابط لها نظامها المعقّد ضمن قوانين خاصّة بها، على الإنسان أن يتأقلم معها. فلا يمكننا دائماً أن نؤقلم الهاتف الذكي مع رغباتنا وحاجاتنا. لا شكّ أنّ هناك قواعد محدّدة لطريقة استخدامنا للهواتف الذكيّة، تحفظ السريّة والخصوصيّة، ولكنّنا لا نضمن دائماً مفاعيلها. فإذا كنّا ندرك تماماً نظام السير على الطرقات هذا لا يعني أنّ المخاطر لم تعد موجودة. ستبقى السيارات تلوّث البيئة وحوادث السير تقتل وتجرح الناس. لا يكفي أن نضع القواعد الأخلاقيّة لضبط إستخدام الهواتف الذكيّة، فكلّنا بتنا نعرفها. المهمّ أن ندرك كيفيّة ارتباطنا بهذه الهواتف التي تساعدنا في أمور كثيرة ولكنّها تستحوذ على اهتمامنا وتركيزنا وتسيطر على مسار حياتنا.

نجد قسماً من الناس يبدّلون هواتفهم كلّ سنة للحصول على أحدث الإبتكارات وقسماً يبدّلونها كلّ سنتين أو أكثر لأنّهم مجبرون على ذلك وإلا فلن يتمكّنوا من الحصول على التحديثات الضروريّة لحسن سير التطبيقات. يبقى السؤال : ماذا نفعل بهذه الهواتف التي نستبدلها ؟ يسعى بعض الخيّرين إلى إنتاج هواتف ذكيّة أخلاقيّة تحترم البيئة وتدوم وقتاً أكبر ولا يتمّ تبديلها لأنّه يصعب إعادة تدوير كلّ مكوّناتها.

فكان الشعار : مدّة أطول، إنتاج أقلّ وإتلاف أقلّ. هل المهمّ إطالة عمر الهاتف الذكي فقط أم البحث أيضاً في طريقة إستخدامه ؟ كلّ شيء مبرمج لكي نبقى جاهزين لاستخدام الهاتف الذكي بشكل مستمر، وقد طُوّرت أساليب جديدة لمكافأة كلّ مستخدم يبقى في جهوزيّة دائمة. يقول مطوّر تطبيقات هواتف ذكيّة " أنا أشبه مروّج مخدرات وقد تخصّصت في بيع الإدمان". "أنا أقدّم منتجات متنوّعة لتلبية حاجات المستخدم. وكلّما نجحت بتلبية حاجاته، يعود إليّ ليطلب منّي المزيد". "أحاول أن أرضيه بتطبيقات سريعة وجميلة كي يصبح مدمناً عليها من ثمّ أسعى لمكافأته بطريقة رقميّة ممّا يفرحه ويبقيه مشدوداً إلى كلّ جديد أقدّمه له."

طوّر الإختصاصيّون أساليب جديدة لمعرفة ميول المستخدمين وردّات فعلهم على التطبيقات المعروضة، وعملوا على ضخّ جرعات من الدوبامين الرّقمي ليشعروهم بالسعادة وبالرّاحة تدفعهم للتفاعل أكثر مع هذه التطبيقات. هل هذه هي الصداقة أو المحبّة أو السعادة أو الرّاحة الفعليّة ؟ بمجرّد ما يبقى المستخدم مستيقظاً ومهيّئاً لاستقبال كلّ جديد بقدر ما يدخل مروّج التطبيقات بمنافسة مع النوم ومع حاجة الإنسان للراحة والهدوء كي يستمر بتحسين قدراته على التحليل والتمييز كي لا يجد نفسه مأخوذاً بالأحداث والتطوّرات والمستجدّات السريعة التي تمنعه، في أوقات كثيرة، من أخذ مسافة من كلّ تلك الأمور فيدرك جوهر الأمور ويميز بين الواقعي والوهمي. هل تُبنى الثقة بين الأشخاص بمجرّد ما نُعطي الآخر ما يريد ويرغب ويتمنّى ؟ هلى هذه هي فعلاً الصداقة الحقيقيّة عندما نترك رسالة صوتيّة سريعة لنعزّي أصدقاء فقدوا عزيزاً أو نؤاسي أحباء يمرّون بظروف صعبة ؟ هل السرعة التي تؤمّنها لنا كلّ هذه التطبيقات كفيلة بجعلنا نفهم ما يجري معنا بالفعل وكل ردّات فعلنا ونظرتنا العميقة للإختبارات التي نعيشها ؟

المسؤوليّة الأخلاقيّة أساسيّة ولا تنحصر بتحكّمي بالهاتف الذكي وبمن يختار أو بمن يقرّر. إنّ تسارع الأحداث تقلّل من قدراتي على الإجابة على أفعالي وتصرفاتي. فالهاتف الذكي هو مُخبر محترف موضوع في جيبي، يعرف كلّ تحركاتي ويطمح لمعرفة نفسيتي وميولي ورسائلي وردّات فعلي ويسيطر على أفكاري بقرار مني. الملفت أنّ كلّ هذه الأمور تحصل بإرادتي، إمّا أن أوافق وإمّا أن أرفض. فإذا رفضت لن أحصل على التسهيلات المتاحة وسأفصل عن الآخرين. ممّا يعني أنّي لن أتمكّن من التواصل معهم ولن أكون ضمن المجموعة المستفيدة من هذه التقديمات.

وإذا وافقت، فأنا مجبر على إطلاع المشغّلين لهاتفي على معلومات شخصيّة لن تبقى أبداً سريّة ولو أتتني منهم التطمينات. فالمشكلة تكمن اليوم ليس فقط في إطلاع الآخرين على معلوماتي الشخصية بل في كيفيّة إستعمالها. أحياناً كثيرة، نقلّل من خطورة الأمور ونقنع ذواتنا بأنّنا نتصرّف مثل البقيّة ولا داعي للقلق. نحن بشر بحاجة لنقول ما يزعجنا لذواتنا وللآخرين الذين نثق بهم. نحن بحاجة لنتبادل الأفكار، لنقول رأينا ولنعبّر عمّا يخالج قلوبنا إلخ. إمّا نمتنع عن قول ما نفكّر به، وهذا ممكن ولكن إلى أي حدّ، وإمّا أن نعرض كلّ شيء كي نعبّر بحريّة أو نتباهى أو نستفز أو ندفع الآخرين للتعبير عن أفكارهم.

ختاماً، هل أبقى ضابطاً للإيقاع في استخدامي للهاتف الذكي ؟ لا أدري. لأنّي لست لوحدي ولا أتحكّم بكلّ المعطيات. أنا مرتبط بآخر وهذا الآخر (أنا بدوري هذا الآخر) لا يفكّر دائماً بنيّة سليمة. وإذا فكّر بنيّة سليمة فإنّ موضوع الفعل بحدّ ذاته ليس دائماً صالحاً. لذا لا يكفي أن تكون النوايا سليمة ولا يكفي أن أتحجّج بالظروف كي أسمح بأفعال غير أخلاقيّة لا تجيب على دعوة الإنسان. هل يمكنني أن أتأمّل تقدّماً في طريقة استخدام هذه التقنيات المتطوّرة ؟ لا أدري. لذا يبقى الإعتدال والحذر سيدا الموقف ولا بدّ للإنسان أن يدرك صوابيّة التروّي والتفكير والتمييز. فليس كلّ شيء ممكن هو بالضروري مفيد. الحقيقة تبقى موضوع بحث دائم. فلنبقى متيقّظين ولنكوّن مجموعات تفكير كي نبتكر حلولاً تحفظ الإنسان، دون أن توقف تطوّر هذه التكنولوجيا، كي لا تصبح هذه الوسيلة التواصليّة وسيلة إستعباد للإنسان.